

فهو حسن لا ريب فيه . وأما العمل على ترقية مجموع الأمة بالعلوم المصرية والصناعات فلم نأخذ عليه فيه الا قوله ان ذلك يجب علينا أولا ورجال الدين يقولون ان تلك العلوم كفر او طريق للكفر ومجموع الأمة تبع لهم . قالذي ينبغي قبل كل شيء اقناع هؤلاء بأن هذه العلوم والفنون تتوقف عليها قوة الأمة ومجدها وان القرآن أرشد اليها بما أمر من النظر والتفكر ويمثل قوله « هو الذي خلق لكم في الارض جميعا » وقوله « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه »

كيف يتسنى لنا نشر هذه العلوم قبل هذا وقد سمي بمض عتلاء العلماء بادخال علم الحساب وتقويم البلدان وتاريخ الاسلام في الازهر فاضطربت لذلك الافكار واختلقت الظنون وقال الاغرار (واكثرنا اغرار) ان الازهر قد فسدت بذلك تعاليمه وأصبح الدين على وشك الاضمحلال والزوال . لم يكن للازهر نظام يرجع اليه فبعد ان وضع له النظام وقبل أن يجري فيه أقل انتظام وقعت فيه الحادثة المشهورة التي سببها الحقيقي الخلل وفساد الاخلاق والجهل بأمور الزمان فقال بمض اللابسين لباس العلماء « ان وجود النظام في الازهر هو الذي أجرى عليه أحكام النظام وان الازهر قوامه بالبركة التي جرى عليها أربابه من قبل فكل تغيير فيه لا يكون الا فسادا له » فلينظر القائلون بأن إعادة مجد الاسلام تكون بنشر الفنون العصرية في الأمة الاسلامية الى أوروبا التي يرومون أن يقلدوها في نهايتها وهم بدايتهم هل تسنى لها الاخذ بهذه الفنون الا بعد الإصلاح الديني وازالة تلك العقبات التي كانت تعادل العلم والصناعات كفرا وتضطهد المشتغلين بهما أشد الاضطهاد ، أكرر القول بأن الإصلاح الديني هو المطلوب قبل كل شيء ومع كل شيء . ولدينا مقالة في ذلك من قلم أعلم حكماء الأمة في هذا العصر ننشرها في العدد الآتي ان شاء الله تعالى (١)

﴿ عالم قريش الامام محمد بن ادريس الشافعي ﴾

« رضى الله تعالى عنه »

نذكر شيئا من سيرة هذا الامام الجليل بمناسبة احتفال العلماء في هذه الايام والحاجيات بل علينا ان هداما يكون للأمة اذا ارتقت في معارج الكمال الاجتماعي فهو غاية لا بداية (١) اعدنا نشر هذه المقالة في ص ٦٦٤ من المجلد التاسع فتطلب منه

بما يسمونه « مولد الامام » وقد احتفلوا قبل ذلك بأيام احتفالا غير هذا يسمونه (الكنسة) وهو اجتماع يكتسبون فيه الضريح ويقسمون الكناسة بينهم للتبرك بها والموالد في هذه الديار كثيرة جدا تكاد تستغرق أيام السنة ولذلك كان السيد عبدالله نديم الكاتب المصري يقول : للافرنج في كل عام كرنفال ولنا في كل يوم كرنفال . (هـ) ولا يتولى العلماء بانفسهم الاحتفال في مولد منها الامولد الامام الشافعي وان كان لا يخلو منهم مولد من الموالد وكأنهم لاحظوا أن هذا المولد الامام من أعظم أئمة العلم فكان المناسب ان يتولى الاحتفال بمولده العلماء الذين من صفته بخلاف سائر الموالد فانها للاولياء وشيوخ الطريق والمناسب ان يتولى شأنها أهل الطريق وقد ذكرنا في مقالات سابقة ما في هذه الموالد من البدع والاضاليل فلا نعيد ذلك بتفصيله ولكننا نقل من سيرة الامام ما تعلم منه الذين ادعوا الاهتداء بهديه أو حاولوا مرضاته أو مرضاة الله تعالى باحتفالهم بمولدهم يصيدوا الغرض أو تقول كما قال الامام حجة الاسلام الغزالي عند تراجم الأئمة المجتهدين « ما تعلم به ان الذين اتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة . . . » وان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم متحلا بمذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم » واذا كان هذا قول حجة الاسلام في الفقهاء منذ ثمانية قرون فماذا عسانا نقول الآن ؟ ذكر الغزالي ان كل واحد من الأئمة المجتهدين كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقهيا في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهاء وجهه الله تعالى قال فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشمير والمالفة في تقاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابة أولئك الأئمة وهيئات لا تقاس الملائكة بالحدادين اهـ قلت وهذه الخاتمة قد فقدت أيضا اذ لا يكاد يوجد اليوم فقيه في مصالح الخلق قادر على الاتيان بتقاريع في الفقه على حسبها . بل يكاد يكون من خواص فقهاء هذا العصر عدم معرفة شيء من أحوال الزمان ومصالح الناس فيه ومن المقرر

(هـ) الكرنفال عبد يتكرونها به بلائس السخرية فيلعون ويهجنون ولا يعرفون

عند الحنفية حملة المذهب المعمول به في الجملة عند الأحكام انه لا يجوز لاحد في مثل هذا العصر أن يستنبط حكما من الأحكام بل ولا أن يصححه ومن أقدم على ذلك لا يقبل استنباطه ولا تصحيحه وشيخ الاسلام في دار الخلافة لا يأذن لمفت أن يفتي من مجلة الأحكام العدلية الموافقة لحالة العصر وان صدر أمر الامام بالعمل بها لان فيها ما هو ضعيف عند الفقهاء الذين يفتي بقولهم بحسب رسم المفتي المتبع عندهم وان كان موافقا لما هو الصحيح عند غير أولئك الفقهاء من أئمة العلم . فإذا يقول الامام الغزالي في هؤلاء الفقهاء وأين هم من تعريف بعض القدماء للفتية بانه (المقبل على شانه البصير بأحوال زمانه) وقد أطلنا في هذه المقدمة فاستمع لما تقصه عليك من الترجمة

كان الامام عليه الرضوان من أعظم أنصار السنة وخذال البدعة والعلماء بدين الله تعالى، الواقفين على أسرار كتاب العظيم، وكلام رسوله الكريم، محافظا أشد المحافظة على حفظ الأوقات أن تضع في غير ما ينفعه وينفع الناس بعيدا عن اللغو في القول، بمعزل عن العبث في العمل، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث ثلث للعلم وثلث للعبادة وثلث للنوم فثلث العلم للناس وثلث العبادة لآخرته وثلث النوم لنفسه ولكل حق يجب أدائه وهذه القسمة أفضل من قيام الليل كله لان النوم لابد منه في حفظ الحياة وقد جعل الله الليل سكنا وفي حديث البخاري « قم ونم » وهذا من الجلي الذي لا يحتاج لزيادة البيان وأعظم خدمة خدم بها الشريعة المطهرة وضعه لقواعد أصول الفقه التي هدى بها العلماء الى كيفية استنباط الأحكام من الكتاب والسنة على وجه السداد وسهل على المشتغلين بالفقه الاجتهاد

ومن محافظته على السنة ووقوفه مع نصوصها ما تواتر عنه من انه كان يقول « اذا صح الحديث فهو مذهبي » وانه كان يأمر ان يضرب بكلامه عرض الحائط إذا خالف الحديث وقال في الرسالة (وهي أول ما كتب في علم الأصول) أخبرني أبو حنيفة ابن سمك ابن الفضل الشهاني قال أخبرني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح الكعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين أن أحب أخذ العقل وأن أحب فله القود » قال أبو حنيفة فمات لابن

أبي ذئب أناخذ بهذا يا أبا الحارث فضرِبْ صدري وصاح صباحاً كثيراً وقال مني وقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أناخذ به نعم آخذ به وذلك الفرض علي وعلى من سمعه وإن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يسمعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك . قال وما سكت حتى تميت أن يسكت

« كان يعظم النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام) عند ذكره بمثل قوله فداه أبي وأمي وبصلوات بليغة لم يلهمها أحد من قبله وقال يصف هداية القرآن في الرسالة بعد جملة طويّلة في الصلاة المشار إليها مخفوفة ببلغ الشاء

« وأنزل عليه كتابه فقال (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فقلهم من الكفر والعمى إلى الضياء والهدى ، وبين فيه ما أحل ممكناً بالتوسعة على خاتمه وما حرم لا هو أعلم به من حظهم في الكف منه في الآخرة والأولى ، وابتلى طاعتهم بأن تعبدتهم بقول وعمل وامسك عن محارم حرامهموها ، وأثبتهم على طاعته من الخلود في جنته ، والنجاة من نعمته ، ما عظمت به نعمته جل ثناؤه ، وأعلمهم ما أوجب على أهل معصيته ، من خلاف ما أوجب لأهل طاعته ، ووعظهم بالأخبار عن كن قبلهم من كان أكثر منهم أموالاً وأولاداً ، وأطول أعماراً وأحمد آثاراً ، فاستمتهوا بخلاقهم في حياة دنياهم ، فأزقهم (٥) عند نزول قضائه منابهم دون آمالهم ، ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم ، ليصبروا في أنف الأوان ، (١) ويتفهموا بجملة البيان ، ويتنبهوا قبل رين الغفلة ، ويعملوا قبل انقطاع المدة ، حين لا يعتب مذنب ولا تؤخذ فدية ، وتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . فكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه رحمة وحنّة علمه من علمه وجهله من جهله لا يعلم من جهله ولا يجبل من علمه

« والناس في العلم طبقات . وقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العمل به فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون

(٥) آراقتهم أعجلتهم (١) يعني مستقبل الوقت وما يتجدد منه

طلبه ، واخلاص النية لله في استدراك علمه نصا واستنباطا والرغبة إلى الله في العون عليه فإنه لا يدرك خيرا إلا بعونه فإن من أدرك علم احكام الله في كتابه نصا واستدلالا ووقفه الله لاقول واعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الريب ، ونورت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الامامة ، فنسأل الله المبدي لنا بنعمه قبل استحقاقها ، أن يديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب به من شكره بها ، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس وأن يرزقنا فيها في كتابه ثم في سنة نبه ، وقولا وعملا يؤدي به عنا حقه ، ويوجب لنا نافلة مزيده ،
(لها بقية)

أناشيد علي بن أبي طالب

﴿ الشعر في شكوى الزمان ﴾

كتب الادب العربية ملأى من شكوى الزمان فما من أديب ولا عالم قال الشعر الا وشكا من سوء حظه وعتب على الزمان وأنهى على الدهر بالذم على رفقته قدرا لجهلاء ، وغمصة حقوق الفضلاء ، منهم المكثرون في ذلك كأبي العلاء المعري ومنهم المقلون . ومن المتبرمين من كان لهم عند الأمراء والعظماء التقدير الرفيع والجاه المنيع لكنهم كانوا يرونه دون ما يستحقون ، وقد ذكر حكيم زمانه العلاء ابن خلدون في مقدمته ان رجال العلم والدين قلما تكون عندهم الثروة . وهذه القاعدة قد تغيرت أو هي تتغير تدريجا بأساليب العمران الجديدة المبنية على العلم ورفعة قدر العلماء والأدباء فقد كان ليفيكتور هيكو شاعر فرنسي من الحرمة عند قومه مالم يكن للملوك أو الامبراطورين ، وليس من غرضنا في هذه النبذة الخوض في هذه المسألة من الجهة العلمية الفلسفية فتوسع في البيان ونأتي بالشواهد عليه ، وانما أوردناه في باب الأدبيات فنأتي عليه ببعض الشواهد الأدبية قال بعضهم
عبت علي الدنيا لرفعة جاهل وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا